العشق

مُقَدّمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد، وعلى آله، وصحبه أجمعين. أما بعد:

فإن القلب السليم لا تكون له لذة تامة، ولا سرور حقيقي، إلا في محبة الله سبحانه، والتقرب إليه بما يحب، والإعراض عن كل محبوب سواه.

وهذه المحبة هي حقيقة شهادة التوحيد: «لا إله إلا الله»، وهي ملة الخليل إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وسنة خاتم المرسلين محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وإن من أعظم ما يُفسد القلب ويُبعده عن الله عَزَّ وَجَلَّ: داء العشق.

فهو مرض يُردي صاحبه في المهالك، ويبعده عن خير المسالك، ويجعله في الغواية، ويضلُّه بعد الهداية.

وهو ذلّ في النفس، ورانٌ على القلب، وهوان في الدنيا، وعذاب في الآخرة.

هو الداء الذي تذوب معه الأرواح، ولا يقع معه الارتياح، بل هو بحر هائج، من ركبه غرق؛ لأنه لا ساحل له.

فما العشق؟ وما أنواعه؟ وهل هو اختياري، أم اضطراري؟

تساؤلات كثيرة، أحببنا أن نجيب عنها، وعن غيرها من خلال هذا الفصل.

ولا يفوتني أن أشكر كل من ساهم في إعداد هذه المادة، وإخراجها بالصورة المرضية.

نسأل الله أن يوفقنا لما فيه الخير والصلاح، وأن يسدد خطانا لطريق الصواب والفلاح، إنه على كل شيء قدير.

❊ ❊ ❊

تعريف العشق

العشق في اللغة:

(العين، والشين، والقاف) هذه المادة تدل في معناها اللغوي على تجاوز حد المحبة[١].

قال ابن منظور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «العشق: فرط الحب، وقيل: هو عُجب المحب بالمحبوب»[٢].

وسُمِّي العشق عشقاً؛ لذبول القلب من شدة الهوى، كما تذبل العَشَقة إذا قُطعت، وهي شجرة تخضر، ثم تَدق، ثم تصفر.

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «المعروف من استعمال هذا اللفظ في اللغة إنما هو في محبة جنس النكاح، مثل حب الآدمي مثله ممن يستمتع به، من امرأة، أو صبي، فلا يكاد يُستعمل هذا اللفظ في محبة الإنسان لولده وأقاربه ووطنه وماله ودينه وغير ذلك، ولا في محبة آدمي لغير صورته، مثل محبة الآدمي لعلمه ودينه وشجاعته وكرمه وإحسانه ونحو ذلك.

بل المشهور من لفظ العشق: هو محبة النكاح ومقدماته، فالعاشق يريد الاستمتاع بالنظر إلى المعشوق، وسماع كلامه، أو مباشرته بالقبلة والحس والمعانقة أو الوطء»[٣].

وفي هذا الكلام فائدتان:

الفائدة الأولى: أن العلاقة بين العبد والرب لا يجوز أن يطلق عليها عشق أبداً، كما أطلق المنحرفون من الصوفية والملاحدة - كابن عربي وابن سبعين وغيرهما - ذلك على الله عَزَّوَجَلَّ،

---

(١) مقاييس اللغة (٤/ ٢٦٢).

(٢) لسان العرب (١٠/ ٢٥١).

(٣) قاعدة في المحبة (ص٥٤-٥٥).

فقالوا: إن العشق والعاشق والمعشوق شيء واحد، وقالوا بأن الله سبحانه وتعالى قد اتّحد في خلقه، فصار هؤلاء شيئاً واحداً! تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً.

الفائدة الثانية: لا يقال: فلان عشـق عالماً، ولا عشقتُ في فلان علمَه وخلقه ودينه، فهذه عبارات غير مستعملة؛ لأن العشق مرتبط بالشهوة والعلاقات الشهوانية.

❊ ❊ ❊

أنواع العشق

العشـق يقـع بين طرفين: عاشـق ومعشـوق، قد يكـون كل منهما عاشـقاً لصاحبه، وقد يكون العشق من طرف واحد.

وهنـاك أمثلـةٌ كثـيرة في التاريخ على العشـق من طرفـين، كعنترة وعبلـة، وقيس وليلى، وجميـل وبثينة، وكُثَـيِّر وعزة، وغيرهم ممن كانت حرارة العشـق ولوعتـه موجودة عند كلا الطرفين، كما في قول الشاعر:

عَيناكِ شاهِدَتانِ أَنَّـكِ مِـن ... حَرِّ الهَوَى تَجِدِينَ ما أَجِـدُ
بِكِ ما بِنا لَكِن عَلَى مَضَضٍ ... تَتَجَلَّدِينَ وَما بِنـا جَلَـدُ[1]

والعشـق الذي يكون من طرف واحد قد ورد له مثال في السـنة النبوية، وذلك في قصة بريـرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مـع زوجهـا مُغيـث رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فـإن بريرة كانـت أَمَة، فلـما عتقت خيَّرهـا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين أن تبقى مع زوجها أو فراقه وفسخ نكاحه، فاختارت الفراق، وللمرأة الحق شرعـاً في ذلـك، إن عتقت وزوجها عبد، وكان مغيث يحب بريـرة حباً عظيماً، فلما اختارت الانفصال، تأثر لفراقها كثيراً.

عـن ابـن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: كأني أنظـر إلى مغيث يطوف خلفها يبكي، ودموعه تسـيل عـلى لحيتـه، فقال النبـي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**يا عَبّـاسُ، أَلا تَعجَبُ مِـن حُبِّ مُغِيثٍ بَرِيرَةَ، وَمِن بُغضِ بَرِيرَةَ مُغِيثاً؟**». فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَو راجَعتِهِ**». قالت: يا رسول الله، تأمرني؟ قال: «**إِنَّما أَنا أَشفَعُ**». قالت: لا حاجة لي فيه[2].

---

(١) روضة المحبين (ص٧٨).

(٢) رواه البخاري (٥٢٨٣).

فهذا العشق وقع بين اثنين يباح بينهما الحب؛ لأنهما زوجان، وقد يقع العشق بين طرفين لا يباح بينهما ذلك، كما هو الحال في كثير من علاقات الحب والعشق المحرمة.

والعشق أربعة أنواع، باعتبار أطرافه:

النوع الأول: عشق الرجال للنساء، وهو الأعم الأغلب.

وإذا قلنا إن فيه نوعاً مباحاً، فهو علاقة النكاح بين الرجل وزوجته، أو علاقة التسري بين السيد والأمة، فإذا لم يصل إلى درجة تمس العبودية، أو ارتكب لأجله المحرمات، أو ترك لأجله الطاعات؛ فإنه يبقى في دائرة المباح.

النوع الثاني: عشق النساء للرجال، وهو كسابقه له حالات جائزة، وله حالات محرمة، ومن الحالات المحرمة: ما أخبرنا الله سبحانه وتعالى به في كتابه عن قصة امرأة العزيز مع يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ، فكان منه عفة وصبر وتقوى، وكان منها العشق والمطاردة والحرص على إيقاعه في الحرام.

وقد كان الداعي لديه قوياً، وثبته الله عَزَّوَجَلَّ، فقد كان فيه ميل طبيعي إلى المرأة بما ركبه الله في طبعه كرجل من الميل إلى النساء، وكان شاباً، عزباً، في بلاد غربة، وكانت المرأة ذات منصب وجمال، وغير آبية ولا ممتنعة، بل هي الداعية له، وأسقطت الحواجز النفسية، وهو في دارها، وتحت سلطانها، وهو عبد عندها فلا يخشى على نفسه التهمة، بل يدخل ويخرج دارها بحكم عمله عندها، واستعانت عليه بمن حولها من نساء بلدها، وتوعدته بالسجن والصَّغار، إن لم يلبِّ طلبها.

بالرغم من هذا كله فإن يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ قد آثر مرضاة الله تعالى، واختار السجن على الزنا، وقال: ﴿رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ [يوسف: ٣٣]، وصرف الله تعالى عنه كيدها وكيدهن، وكانت في تلك الواقعة عِبَرٌ عظيمة، وفوائد كثيرة.

النوع الثالث: عشق الرجال للرجال، وهو ممقوت عند الله، وجالب لغضبه وسخطه، وهو من أضرّ الأمور على العاشق والمعشوق، في الدين والدنيا والآخرة.

ومِن هذا النوع: عشق الرجال للمردان، وعمل قوم لوط عَلَيْهِ السَّلَامُ، الذين جلبوا لأنفسهم نقمة الله وعذابه، بما فعلوا من هذه الجريمة العظيمة المتولدة من عشق الذكران، حتى وصف الله تعالى عشقهم بأنه سَكرٌ؛ فقال: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الحجر: ٧٢]. إنه انتكاس للفطرة، وانحراف للطبع.

النوع الرابع: عشق النساء للنساء، وهذا النوع كسابقه في الجرم والمقت والدناءة والخسة، وكشفت إحدى الدراسات أن السبب الرئيس في انتشاره هو التعلق والإعجاب، وهو مؤذن بفساد مريع، وتدهور أخلاقي شنيع.

وهناك مظاهر تدل على العشق، منها:

١. محاولة إخفاء العلاقة، والإسرار بها.

٢. إطالة الجلوس مع المعشوق.

٣. احتفاظ كلٍ من الطرفين بأسراره عند الآخر.

٤. التلفظ بعبارات تدل على الحب والغلو في هذه العلاقة.

٥. التصريح بالغيرة عليه.

٦. تقبُّل كل ما يصدر منه، حتى لو كان فيه إساءة أو معصية.

٧. كثرة مخالطته، ومحبة الانفراد به.

❊ ❊ ❊

هل العشق اختياري أم اضطراري؟

نسمع كثيراً ممن يشتكون من داء العشق ويقولون: إنهم لا يستطيعون ترك مَن يحبونهم، وأن الموت أهون عليهم من تركهم!.

وهنا يتبادر إلى الذهن سؤال: هل العشق اختياري أم اضطراري؟

حاول العشاق قديماً أن يعذروا أنفسهم بأن العشق اضطراري، وأنه لا حيلة لهم في هذا العشق، ومِن ذلك قول الشاعر:

يَلُومُونَنِي فِي حُبِّ سَلمَى كَأَنَّما ... يَرَونَ الهَوَى شَيئاً تَيَمَّمتُهُ عَمدا
أَلا إِنَّما الحُبُّ الَّذِي صَدَعَ الحَشا ... قَضاءٌ مِنَ الرَّحمَنِ يَبلُو بِهِ العَبدا[1]

ومقصدهم: بيان أن العشق قضاء وقدر، وهو بيد الله لا بيد المخلوق.

والحق -كما ذكر ابن القيم وغيره من العلماء رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ-: أن مبادىء العشق وأسبابه اختيارية، داخلة تحت التكليف؛ فإن النظر والتفكر والتعرض للمحبة أمر اختياري، فإذا أتى بالأسباب كان ترتب المسبَّب عليها بغير اختياره غالبا، كما قيل:

تَوَلَّعَ بِالعِشقِ حَتَّى عَشِق ... فَلَمّا استَقَلَّ بِهِ لَم يُطِق
رَأَى لُجَّةً ظَنَّها مَوجَةً ... فَلَمّا تَمَكَّنَ مِنها غَرِق
تَمَنَّى الإِقالَةَ مِن ذَنبِهِ ... فَلَم يَستَطِعها وَلَم يَستَطِق[2]

وهذا بمنزلة السكر من شرب الخمر؛ فإن تناول المسكر اختياري، وما يتولد عنه السكر

---

(١) روضة المحبين (ص١٤٢).

(٢) ذم الهوى (ص٥٨٦).

اضطـراري، فمتى كان السـبب واقعا باختياره، لم يكن معذورا فيـما تولد عنه بغير اختياره. فمتى كان السـبب محظورا، لم يكن السـكران معذورا، ولا ريب أن متابعة النظر واسـتدامة الفكر بمنزلة شُرب المسكر، فهو يلام على السبب.

خطر العشق

إن بعض العشّـاق يدّعون أن العشق يسـمو بالنفس، ويصعد بالروح، ويجعلون العشق شيئاً إيجابياً، والحق أن العشق سلبياته أكثر من إيجابياته.

قـال ابن تيميـة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فَإِن الَّذِي يورثه العِشـق من نقص العقل والعلم وَفَسـاد الخلق والدّين والاشتغال عَن مصالح الدّين والدُّنيا: أَضعاف ما يتضمنه من جنس المَحمُود.

وأصدق شـاهد على ذَلِك ما يعرف من أَحوال الأُمَم وَسَـماع أَخبار النّاس في ذَلِك، فَهُوَ يُغني عَن مُعاينَة ذَلِك وتجريبه، وَمن جرب ذَلِك أَو عاينه اعتبر بِما فيهِ كِفايَة، فَلم يُوجد قطّ عشق إِلّا وضرره أعظم من منفعَته»[1].

فمن أضرار العشق وسلبياته:

١. أن العشق ربما أوقع صاحبه في الكفر بالله:

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن العشق: «وَهُوَ أَقسامٌ: تارَةً يَكُونُ كُفراً، لِمَنِ اتَّخَذَ مَعشُوقَهُ نِدّاً، يُحِبُّهُ كَـما يُحِـبُّ اللهَ، فَكَيفَ إِذا كانَت مَحَبَّتُهُ أَعظَمَ مِن مَحَبَّةِ اللهِ في قَلبِهِ؟ فَهَذا عِشـقٌ لا يُغفَرُ لِصاحِبِهِ، فَإِنَّهُ مِن أَعظَمِ الشِّركِ، واللهُ لا يَغفِرُ أَن يُشرَكَ بِهِ، وَإِنَّما يَغفِرُ بِالتَّوبَةِ الماحِيَةِ ما دُونُ ذَلِكَ.

وَعَلامَةُ العِشقِ الشِّركِيِّ الكُفرِيِّ: أَن يُقَدِّمَ العاشِقُ رِضاءَ مَعشُوقِهِ عَلَى رَبِّهِ، وَإِذا تَعارَضَ عِندَهُ حَقُّ مَعشُـوقِهِ وَحَظُّهُ، وَحَقُّ رَبِّهِ وَطاعَتُهُ، قَدَّمَ حَقَّ مَعشُـوقِهِ عَلَى حَقِّ رَبِّهِ، وَآثَرَ رِضاهُ عَـلَى رِضـاهُ، وَبَذَلَ لَهُ أَنفَسَ مـا يَقدِرُ عَلَيهِ، وَبَـذَلَ لِرَبِّهِ -إِن بَذَلَ- أَردَأَ ما عِندَهُ، واسـتَفرَغَ وُسـعَهُ في مَرضاةِ مَعشُـوقِهِ وَطاعَتِهِ والتَّقَرُّبِ إِلَيـهِ، وَجَعَلَ لِرَبِّهِ -إِن أَطاعَـهُ- الفَضلَةَ الَّتِي تَفضُل عن مَعشُوقِهِ مِن ساعاتِهِ.

---

(١) الاستقامة (١/ ٤٥٩).

فَتَأَمَّل حالَ أَكثَرِ عُشّاقِ الصُّوَرِ تَجِدها مُطابِقَةً لِذَلِكَ، ثُمَّ ضَع حالَهُم في كِفَّةٍ، وَتَوحِيدَهُم وَإِيمانَهُم في كِفَّةٍ، ثُمَّ زِن وَزناً يَرضَى اللهُ بِهِ وَرَسُولُهُ وَيُطابِقُ العَدلَ، وَرُبَّما صَرَّحَ العاشِقُ مِنهُم بِأَنَّ وَصلَ مَعشُوقِهِ أَحَبُّ إِلَيهِ مِن تَوحِيدِ رَبِّهِ، كَما قالَ العاشِقُ الخَبِيثُ:

يَتَرَشَّفنَ مِن فَمِي رَشَفاتٍ ... هُنَّ أَحلَى فيهِ مِنَ التَّوحِيدِ

وَكَما صَرَّحَ الخَبِيثُ الآخَرُ أَنَّ وَصلَ مَعشُوقِهِ أَشهَى إِلَيهِ مِن رَحمَةِ رَبِّهِ..

ولا رَيبَ أَنَّ هَذا العِشقَ مِن أَعظَمِ الشِّركِ، وَكَثِيرٌ مِنهُم يُصَرِّحُ بِأَنَّهُ لَم يَبقَ في قَلبِهِ مَوضِعٌ لِغَيرِ مَعشُوقِهِ أَلبَتَّةَ، بَل قَد مَلَكَ عَلَيهِ قَلبَهُ كُلَّهُ فَصارَ عَبداً مَحضاً مِن كُلِّ وَجهٍ لِمَعشُوقِهِ، فَقَد رَضِيَ هَذا مِن عُبُودِيَّةِ الخالِقِ جَلَّ جَلالُهُ بِعُبُودِيَّةِ مَخلُوقٍ مِثلِهِ؛ فَإِنَّ العُبُودِيَّةَ هِيَ كَمالُ الحُبِّ والخُضُوعِ، وَهَذا قَدِ استَفرَغَ قُوَّةَ حُبِّهِ وَخُضُوعِهِ وَذُلِّهِ لِمَعشُوقِهِ، فَقَد أَعطاهُ حَقِيقَةَ العُبُودِيَّةِ.

وَلا نِسبَةَ بَينَ مَفسَدَةِ هَذا الأَمرِ العَظِيمِ وَمَفسَدَةِ الفاحِشَةِ؛ فَإِنَّ تِلكَ ذَنبٌ كَبِيرٌ، لِفاعِلِهِ حُكمُ أَمثالِهِ، وَمَفسَدَةُ هَذا العِشقِ مَفسَدَةُ الشِّركِ، وَكانَ بَعضُ الشُّيُوخِ مِنَ العارِفِينَ يَقُولُ: لَأَن أُبتَلَى بِالفاحِشَةِ مَعَ تِلكَ الصُّورَةِ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِن أَن أُبتَلَى فيها بِعِشقٍ يَتَعَبَّدُ لَها قَلبِي، وَيَشغَلُهُ عَنِ اللهِ»[1].

وهذا مجنون عزة يصف ما انتكس إليه قلبه فيقول:

رُهبانُ مَدينَ والَّذينَ عَهِدتُهُم ... يَبكونَ مِن حَذَرِ العَذابِ قُعُودا
لَو يَسمَعُونَ كَما سَمِعتُ حَدِيثَها ... خَرُّوا لِعَزَّةَ رُكَّعاً وَسُجُودا[2]

وهذا رجل بِبَغدادَ يُقالُ لَهُ صالِحُ المُؤَذِّنُ، أَذَّنَ أَربَعِينَ سَنَةً، وَكانَ يُعرَفُ بِالصَّلاحِ، صَعَدَ يَوماً إِلى المَنارَةِ لِيُؤَذِّنَ، فَرَأَى بِنتَ رَجُلٍ نَصرانِيٍّ كانَ بَيتُهُ إِلى جانِبِ المَسجِدِ، فافتُتِنَ بِها، فَجاءَ فَطَرَقَ البابَ، فَقالَت: مَن؟ فَقالَ: أَنا صالِحُ المُؤَذِّنُ، فَفَتَحَت لَهُ، فَلَمّا دَخَلَ ضَمَّها إِلَيهِ. فَقالَت: أَنتُم أَصحابُ الأَماناتِ[3]، فَما هَذِهِ الخِيانَةِ؟! قال: إن وافقتني على ما أريد، وإلا

(١) الجواب الكافي (ص١٥٠).

(٢) وفيات الأعيان (٤/ ١١٢).

(٣) لأن المؤذن مؤتمن على أعراض الناس؛ حيث يصعد على المنارة وسطح المسجد، فيرى البيوت مِن حوله.

قتلتك، فقالت: لا، إلا أن تترك دينك، فقال: هو بريء من الإسلام، ومما جاء به محمد، ثم دنا إليها، فَقالَت: إِنَّما قُلتَ هَذِهِ لِتَقضِي غَرَضَكَ ثُمَّ تَعُودُ إلى دِينِكَ، فَكُل مِن لَحمِ الخِنزِيرِ. فَأَكَلَ، قالَت: فاشرَبِ الخَمرَ. فَشَرِبَ، فَلَمّا دَبَّ الشَّرابُ فيهِ دَنا إِلَيها، فَدَخَلَت بَيتاً وَأَغلَقَتِ البابَ، وَقالَتِ: اصعَد إلى السَّطحِ؛ حَتَّى إِذا جاءَ أَبِي زَوَّجَنِي مِنكَ. فَصَعَدَ، فَسَقَطَ، فَماتَ، فَخَرَجَت، فَلَفَّتهُ في مَسحٍ، فَجاءَ أَبُوها، فَقَصَّت عَلَيهِ القِصَّةَ، فَأَخرَجَهُ في اللَّيلِ، فَرَماهُ في السِّكَّةِ، فَظَهَرَ حَدِيثُهُ، فَرُمِيَ في مَزبَلَةٍ[1].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَإِذا أَرادَ النَّصارَى أَن يُنَصِّرُوا الأَسِيرَ، أَرَوهُ امرَأَةً جَمِيلَةً، وَأَمَرُوها أَن تُطمِعَهُ في نَفسِها، حَتَّى إِذا تَمَكَّنَ حُبُّها مِن قَلبِهِ، بَذَلَت لَهُ نَفسَها إِن دَخَلَ في دِينِها، فَهُنالِكَ: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْآخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾»[2].

٢. استعمال العاشق شتى الوسائل لوصال معشوقه:

إن العاشق يسعى للنيل من معشوقه بشتى الوسائل، وربما استعان العاشق على وصال المعشوق بشياطين الجن عن طريق السحر، وهذا موجود في الواقع، ومعلوم لدى الناس.

فلأجل أن يصل إلى هذا المعشوق يستخدم العاشق السحر ليخضع المعشوق له، فيأتيه متى ما يريد، ولا يحتجب منه، ولا يمتنع عنه، وهذه طامة عظيمة؛ لأن السحر كُفر بالله العظيم.

٣. اشتغال العاشق بذكر المخلوق عن ذكر الخالق:

من مفاسد العشق: اشتغال العاشق بذكر المخلوق وحبه، عن حب الرب وذكره؛ لأنه لا يجتمع في القلب حب الخالق وعشق المخلوق، بل لابد أن يقهر أحدهما الآخر.

ولذلك: فإن أصحاب العشق الشيطاني لهم من تولي الشيطان نصيب عظيم، ترى الواحد منهم عبداً لذلك المعشوق، يصرّح في حضوره ومغيبه أنه عبده!.

---

(١) ذم الهوى (ص٤٥٩).

(٢) الجواب الكافي (ص١٥٥).

وينتشر هذا الداء عند أصحاب الغناء، فإنهم يصرّحون في أغانيهم بأنهم عبيدٌ لمن يحبونه ويعشقونه، بل قد يعبّرون عن ذلك بالصلاة والعبادة.

وهذا العاشق يقدم رضا معشوقه على رضا ربه، ولقاء معشوقه على لقاء ربه، ويتمنى قرب معشوقه أعظم من تمنيه قرب الرب سبحانه، ويهرب من سخط معشوقه أشد من هربه من سخط الرب سبحانه، وقد يُسخط ربَّه لمرضاة معشوقه، ويقدم مصالح معشوقه على طاعة ربه، فإن فضل من وقته فضلة وكان عنده قليل من الإيمان صرف تلك الفضلة في طاعة ربه، وإن استغرق الزمان حوائج معشوقه ومصالحه صرف زمانه كله فيها، وأهمل أمر الله.

يجود لمعشوقه بكل نفيسة ونفيس، ويجعل لربه من ماله -إن جعل له- كل رذيلة وخسيس، فلمعشوقه لبه وقلبه وهمّه ووقته وخالص ماله، ولربه الفضلة!.

قد اتخذه وراءه ظهريّاً، وصار لذكره نسّياً، إن قام في خدمته في الصلاة: فلسانه يناجيه وقلبه يناجي معشوقه، وإن وجّه بدنه إلى القبلة: فقلبه موجه إلى معشوقه.

ينفِرُ، أو يَنفُر من خدمة ربه، حتى كأنه واقف في الصلاة على الجمر من ثقلها عليه، فإذا جاءت خدمة المعشوق أقبل عليها بقلبه وبدنه فرحاً بها، ناصحاً له فيها، خفيفة على قلبه، لا يستثقلها، ولا يستطيلها.

ولا ريب أن هؤلاء من الذين اتخذوا من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله، وهذا مجنون ليلى يقول:

أَرانِي إِذا صَلَّيتُ يَمَّمتُ نَحوَها
بِوَجهِي وَإِن كانَ المُصَلَّى وَرائِيا
وَما بِيَ إِشراكٌ وَلَكِنَّ حُبَّها
كَعَظمِ الشَّجا[1] أَعيا الطَّبِيبَ المُداوِيا[2]

---

(١) عظم الشجى: هو العظم المعترض في الحلق، والذي يصعب إخراجه، كحسك السمكة.
(٢) ذم الهوى (ص٤٠٣-٤٠٤).

٤. عذاب قلب العاشق:

فإنّ من أحب شيئاً غير الله عُذِّب به ولابُد، كما قيل:

وَما في الأَرضِ أَشقَى مِن مُحِبٍّ ... وَإِن وَجَدَ الهَوَى عَذبَ المَذاقِ
تَراهُ باكِياً في كُلِّ حِينٍ ... مَخافَةَ فُرقَةٍ أَو لاشتِياقِ[1]

والعشق وإن استلذّ به صاحبه فهو من أعظم العذاب، والعاشق قلبه أسيرٌ في قبضة معشوقه، يسومه سوء الهوان، يحركه يميناً وشمالاً، يستجيب له كالطفل الذي يحرك الآلة بجهاز التحكم، ولكن لسُكرة العشق لا يشعر بالمصيبة، فقلبه:

كعصفورة في كف طفل يذيقها ... أفانين طعم الموت، والطفل يلعب[2]

والعاشق كما قيل:

طَلِيقٌ بِرَأيِ العَينِ وَهوَ أَسِيرُ ... عَلِيلٌ عَلَى قُطبِ الهَلاكِ يَدُورُ
وَمَيتٌ يُرَى في صُورَةِ الحَيِّ غادِياً ... وَلَيسَ لَهُ حَتَّى النُّشُورِ نُشُورُ
أَخُو غَمَراتٍ ضاعَ فيهِنَّ قَلبُهُ ... فَلَيسَ لَهُ حَتَّى المماتِ حُضُورُ[3]

٥. اشتغال العاشق عن مصالح دينه ودنياه:

فليس شيء أضيع للدين ومصالح الدنيا من عشق الصور.

أما ضياع الدين: فلأن هذا الإنسان قد تفرق قلبه عن الله بالعشق، فلا يجد وقتاً لمرضاة ربه.

وأما مصالح الدنيا: فهي تابعة لمصالح الدين، فإذا انشغل عن مصالح الدين، كان عن مصالح الدنيا أشد شغلاً وتفريطاً.

٦. آفات الدنيا والآخرة أسرع إلى العشاق من النار في الحطب اليابس:

وسبب ذلك: أن القلب كلما قرب من العشق وقوي اتصاله بالمعشوق بَعُد عن الله، فأبعدُ

---

(١) ذم الهوى (ص٥٩٢).

(٢) معجم الشعراء العرب (ص٢٣١٩).

(٣) الجواب الكافي (ص١٥١).

القلوب عن الله قلوب العشاق، وإذا بَعد القلب عن الله طرقته الآفات، وتولاه الشيطان من كل ناحية، ومَن تولاه عدوه واستولى عليه لم يدع أذىً يمكنه إيصاله إليه إلا أوصله.

فما الظنّ بقلبٍ تمكن منه عدوه وأحرص الخلق على غيه وفساده؟!

وكذلك: فإن العشق إذا تمكن من القلب واستحكم، أفسد العقل، وأفسد الذهن، وأحدث الوساوس، وأفقد القدرة على التفكير، ولذلك تراه لا يُتقن درساً، ولا يفلح في تجارة، ولا يحسن النظر في قضية، ولا يُجيد حَلَّ مشكلة؛ لأن التفكير قد شُلَّ، والقلب قد علاه الران، فلم يَعُد يدري كيف يفكر!.

وأشرف ما في الإنسان عقله، وبه يتميز عن البهائم، فإذا عَدِم العقل وفقده التحق بالبهائم، وربما كان حال الحيوان أصلح من حاله.

وهل أذهب عقل مجنون ليلى وأضرَّ به إلا العشق؟!

بل زاد جنونه على جنون غيره:

قالُوا جُنِنتَ بِمَن تَهوَى فَقُلتُ لَهُم ... العِشقُ أَعظَمُ مِمّا بِالمَجانِينِ
العِشقُ لا يَستَفيقُ الدَّهرَ صاحِبُهُ ... وَإِنَّما يُصرَعُ المجنُونُ في الحِينِ[1]

أما الفساد المعنوي: فهو فساد القلب، والقلب إذا فسد فسدت العين والأذن واللسان، والقلب الفاسد يُرِي صاحبَه القبائح محاسن، ويُعمي العشق عين القلب عن رؤية مساوئ المحبوب المعشوق، وعن تبصّر عيوبه، فلا ترى عَين العاشق أبداً عيوب المعشوق، فيصم أذنه عن الإصغاء إلى أي قادحٍ فيه، ومنبّهٍ على أخطائه، ويستميت في الدفاع عنه، ولو كان خطأ المعشوق واضحاً.

ولما بلغ السيلُ الزُّبَى، وبلغ به هذا المبلغ، لم يَعُد يرتضي أن يقدح في معشوقه أحد، أو أن يذمَّه أحد، أو أن ينتقده أحد، فيدافع عنه بالحق والباطل، ويستميت في ذلك.

والرغبات تستر العيوب، فالراغب في الشيء لا يرى عيوبه، حتى إذا زالت الرغبة أبصر العيوب، وكانت هذه الرغبة ستاراً يُغشي البصر، ولذلك قال ذاك العاشق:

---

(١) مجموع الفتاوى (١٥/ ٤٢٥).

عَلِقتُكِ إِذ عَينِي عَلَيها غِشاوَةٌ فَلَمّا انجَلَت قَطَّعتُ نَفسِي أَلُومُها[١]

فعندما كان عاشقاً كانت عليه غشاوة، وبعد أن ذهب عنه ذلك العشق أصبح يتساءل: كيف كنت معجباً بهذه؟!

وهكذا.. فإن الداخل في الشيء لا يرى عيوبه، والذي هو خارجه قد لا يرى عيوبه أيضاً، وإنما يرى عيوبه مَن دخل فيه ثم خرج منه، ولكن الذي يدخل العشق ويخرج منه قليل جداً.

لماذا كان الصحابة الذين دخلوا في الإسلام بعد الكفر خيراً من الذين ولدوا في الإسلام؟

لأنهم عرفوا الكفر ورأوه وذاقوه ومارسوه، ثم بعد ذلك اهتدوا، فعرفوا الجاهلية وعرفوا الإسلام، وهذا معنى قول عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إنما تُنقض عُرى الإسلام عروةً عروة: إذا وُلد في الإسلام مَن لا يعرف الجاهلية»[٢].

وأما إفساد العشق للحواس: فشيء ظاهر؛ فإنها تمرض كما يمرض البدن، فبدن العاشق تنسلُّ منه العافية، فترى العاشق نحيلاً مريضاً كئيباً هزيلاً ضعيفاً طريح الفراش، لا يستطيع أداء عمل، ولا إفادة أحد.

رُفِعَ إلى ابنِ عَبّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا شابٌّ، وَهُوَ بِعَرَفَةَ، قَد صارَ كالخلالِ. فَقالَ: ما بِهِ؟ قالُوا: العِشقُ. فَجَعَلَ ابنُ عَبّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عامَّةَ دُعائِهِ بِعَرَفَةَ: الِاستِعاذَةَ مِنَ العِشقِ[٣].

فمِن فَرَطِ المحبة يستولي العشق على قلب المعشوق، حتى لا يستطيع أن ينسلخ من محبوبه، ولا أن يترك التفكير فيه، فصورة محبوبه دائماً في ذهنه، دائماً على لسانه، يراه في منامه، ويتخيله في يقظته، يصحو على ذكره، وينام على صورته، ولا يغيب عن خاطره.

---

(١) ذم الهوى (ص٣٣٢).

(٢) ذكر شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ هذا الأثر في مجموع الفتاوى (١٠/ ٣٠١)، وقد أخرجه الحاكم (٤/ ٤٧٥)، وابن أبي شيبة (٦/ ٤١٠) بلفظ آخر عن المستظل بن حصين البارقي قال: «خطبَنا عمر بن الخطاب فقال: قد علمتُ وربِّ الكعبة متى تهلك العرب». فقام إليه رجلٌ من المسلمين فقال: متى يهلكون يا أمير المؤمنين؟ قال: «حين يسوس أمرَهم من لم يعالج أمرَ الجاهلية، ولم يصحب الرسولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ».

(٣) مدارج السالكين (٣/ ٣١).

تتعطل قواه الجسدية، وتفسد روحه، وتتغير أفعاله، وتنقلب صفاته، وتنعكس مقاصده، ويحدث لديه اختلال عقلي وجسدي وروحي.

وهو مرض من أخطر الأمراض، فلا تكاد ترى له دواءً، ولا طبيباً.

الحُبُّ أَوَّلُ ما يَكُونُ لَجاجَةً تَأتِي بِهِ وَتَسُوقُهُ الأَقدارُ
حَتَّى إِذا اقتَحَمَ الفَتَى لُجَجَ الهَوَى جاءَت أُمُورٌ لا تُطاقُ كِبارُ[1]

العشق مبدؤه سهل حلو، وأوسطه همّ وشغل قلب وسقم، وآخره عطب وقتل، ولذلك وصل الحال ببعض العشاق إلى الموت بسبب العشق.

هناك عشاق ماتوا، لا زالوا يذبلون ويذبلون، لا يشتهون طعاماً، ولا يذوقون راحة، حتى ماتوا.

وَعِش خالِياً فالحُبُّ أَوَّلُهُ عَنا وَأَوسَطُهُ سَقَمٌ وَآخِرُهُ قَتلُ[2]

والمسألة يجني بها العاشق على نفسه، بدايتها منه، وأسبابها منه، وهو الذي أرادها، ومشى إليها، وسعى فيها.

هو الذي تعمد النظر، وهو الذي قصد التفكير، وهو الذي استدام طول المجالسة، وكثرة الحديث مع هذا المعشوق، حتى وصلت القضية إلى العشق.

فالمسألة كانت بيده أولاً، وكان من الممكن أن يرجع قبل الغرق في بحر العشق، لكن بعدما صار في لُجج الهوى، كيف يرجع؟

لو أدخلت فرسك في زقاق ضيق جداً، فمن الممكن أن ترجع إلى الخلف في بداية الزقاق بشيء بسيط من الجهد، لكن إذا أصبحت في وسط الزقاق وقد أبعدت وأوغلت، فكيف ترجع؟

إن الدابة لا تستطيع الدوران للرجوع، ولا تستطيع أن تمشي إلى الخلف.

ولذلك، فإن مَن دخل في هذا الموضوع لا يستطيع أن يتركه، إلا بتوفيق الله.

---

(١) ذم الهوى (ص٣٣٤).

(٢) روضة المحبين (ص١٤١).

٧. فساد سيرة العاشق بين الناس:

إن هذا العاشق يضرّ بسيرته وسمعته عند الناس، فتصبح سيرته على كل لسان، ويتناقل الناس قصصه متلذذين شامتين، وربما افتروا عليه فيها؛ ليجمّلوا القصة ويحسنوها، وقد يتهموه بالفاحشة، وغير ذلك.

٨. استغلال المعشوق العاشق أحياناً:

ربما يستغلّ بعض هؤلاء المعشوقين تلك العلاقة المحرمة، ويستغلون العاشق استغلالاً بشعاً، فيأخذون أمواله وبعض ممتلكاته.

تحدَّثَت إحدى العوائل عن ابنها الذي سافر إلى بلدٍ من البلدان، وعشق امرأة هناك، طارت بلُبِّه، وذهبت بعقله، فأنفق عليها الكثير من أمواله في المطاعم، والفنادق، والهبات، والأعطيات، والملابس، والحليّ، وغير ذلك، حتى رجع مفلساً.

وقد يدخل بعضهم السجن؛ بسبب السرقة، أو الاقتراض، من أجل محبوبته.

٩. العشق ربما أدى إلى القتل، وارتكاب الجرائم:

فكم للعشق من قتيل من الجانبين!.

فربما عمد العاشق إلى قتل أي طرف آخر يقترب من معشوقه أو معشوقته!.

فهذا العشق كم قد أزال من نعمة، وأفقر من غنى، وأسقط من مرتبة، وشتَّت من شمل، وكم أفسد من أُسَر، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

١٠. عدم التوفيق للخاتمة الحسنة:

ومن مفاسد العشق: عدم توفيق العاشق للخاتمة الحسنة، إلا أن يتغمده الله برحمته، وإذا كان العبد في حال حضور ذهنه وقوته وكمال إدراكه قد يخدعه الشيطان، فكيف إذا صار غافلاً عن ذكر الله؟

وكيف إذا نزل به الموت، وسقطت قواه، واشتغل قلبه بألم النزع، واجتمع عليه كيد إبليس، وحشد عليه كل ما يقدر؛ لينال الفرصة النهائية بخروجه من الدنيا، فهل يسلم العاشق عند ذلك في هذه اللحظة من الضعف؟!

هنالـك ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

والسـؤال هو: كيف يوفق لحسـن الخاتمة من غفل قلبه عن ذكر الله، واتبع هواه، وكان أسيراً للشهوات والموبقات؟!

مَـن كانـت جوارحه معطلة عن طاعة الله، ولسـانه بمعزل عن ذكر الله، وكان مشـغولاً بالمعصية وخدمة المعشوق، كيف تُكتب له العاقبة الحسنة؟!

وقصـة صاحب «حمام مِنجاب» الذي مات على ذكـر محبوبته واعظٌ لمن كان له قلب، أو ألقى السمع وهو شهيد.

رُوي أن رجـلاً نـزل به الموت فقيل له: قل: لا إلـه إلا الله. فجعل يقول: أين الطريق إلى حمام منجاب؟

وقصته: أنه كان واقفاً على باب داره يوماً، وكان بابه يشـبه باب الحمام، فمرت به جارية لها منظر جميل وهي تقول: أين الطريق إلى حمام منجاب؟ فقال لها: هذا حمام منجاب. وأشار إلى داره، فدخلت الدار، فدخل وراءها، فلما رأت نفسها معه في داره وليست بحمام علمت أنـه خدعهـا، فأظهرت له البشـر والفـرح باجتماعها معه عـلى تلك الخلـوة في تلك الدار، وقالت له: يصلح أن يكون عندنا ما يطيب به عيشنا، وتقر به عيوننا، فهلا جئت بشـيء من الطعام. فقال لها: السـاعة آتيك بكل ما تريدين، وبكل ما تشـتهين، وخرج، فتركها في الدار ولم يغلقهـا، تركهـا مفتوحة على حالها، ومـضى، فأخذ ما يصلح لهما، ورجـع ودخل الدار، فوجدهـا قـد خرجت وذهبت، ولم يجد لهـا أثراً، فهـام الرجل بها، وأكثر الذكـر لها والجزع عليها، وظل يمشـي في الطرق والأزقة وهو يقول:

يا رُبَّ قائِلَـةٍ يَومـاً وَقَد تَعِبَت ... أَينَ الطَّرِيقُ إلى حَمّامِ مِنجابِ

وبعد أشهر مر في بعض الأزقة وهو ينشد هذا البيت، وإذا بجارية تجاوبه من طاقٍ وهي تقول:

هَلّا جَعَلتَ لَها إِذ ظَفِرتَ بِها ... حِرزاً عَلَى الدّارِ أَو قُفلاً عَلَى البابِ

فزاد هيمانه، واشتد هيجانه، ولم يزل كذلك حتى مات على الحال التي ذكرنا، فنعوذ بالله من المحن والفتن[١].

وقريب منه:

ذلك الذي كان يعشق شاباً اسمه أسلم، واشتد به الأمر إلى أن أصابه المرض بسبب فراقه، وحضرته الوفاة، فقيل له: قل لا إله إلا الله. فقال:

أَسلَمُ يا راحَةَ العَلِيلِ ... رِفقاً عَلَى الهائِمِ النَّحِيلِ
وَصلُكَ أَشهَى إلى فُؤادِي ... مِن رَحمَةِ الخالِقِ الجَلِيلِ

ومات على هذه الكلمة[٢].

١١. فساد العقل:

العشق قد يُفسد العقل، فترى الناس في وادٍ والعاشق في وادٍ آخر، دائم التفكير بمحبوبه، فلا يستطيع أن يستفيد من عقله، ولا يُفيد أحداً بفائدة.

بل إنه ربما جعل دواءَه داءَه!.

❊ ❊ ❊

(١) العاقبة في ذكر الموت (ص١٧٩-١٨٠).
(٢) ذم الهوى (ص٥٦٠).

أسباب العشق

للوقوع في العشق أسباب عديدة، منها:

إعراض القلب عن محبة الله:

قال العلماء عن العشق: «العشق حركة قلب فارغ»[١].

والمقصود: أن القلب لو كان فيه محبة الله لا يمكن أن يدخله العشق، فالعشق إنما تُبتَلى به القلوب الفارغة من محبة الله.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومِن أعظم الأشياء ضرراً على العبد: بطالته وفراغه، فإن النفس لا تقعد فارغة، بل إن لم يشغلها بما ينفعها شغلته بما يضره، ولابد»[٢].

فإن لم يكن هناك محبة قوية لله سبحانه وتعالى؛ فلابُدَّ أن تدخل محبة شخص آخر ذلك القلب، فإن النفس لا تقعد فارغة، وإن لم تشغلها بالطاعة شغلتك بالمعصية، والقلب إذا خلا من محبة الله امتلأ بغيره.

أَتانِي هَواها قَبلَ أَن أَعرِفَ الهَوَى ... فَصادَفَ قَلباً خاوِياً فَتَمَكنا[٣]

الجوع العاطفي:

بعض الناس يكون عنده جوع عاطفي، فعاطفته لم تُشبَع منذ صغره، فربما كان مفتقداً لحنان أمٍ ترضعه وترعاه، وشفقة أبٍ يحوطه ويحنو عليه، فيبحث عن هذا الحنان من خلال العشق.

---

(١) زاد المعاد (٤/ ٢٤٦).

(٢) طريق الهجرتين (ص٤١٣).

(٣) روضة المحبين (ص١٣٨).

وهـؤلاء الأطفال الذين عاشـوا في أسرة مفككة، فالأب طلَّـق الأم، ولم يرعيا أطفالهما، بـل قـد يكون الطفل عاش في بيت ثالث، فلم يذق حنان أمه، ولم يعرف شـفقة أبيه، هؤلاء الأطفال هم أكثر الناس عرضة لهذا النوع من العشق؛ لجوعهم العاطفي.

لذلك: فإن إشـباع غريزة الطفل في العاطفة من قِبَل الأبوين؛ يجعل له ثباتاً نفسـياً، وربما يُبعِدُ عنه مثل هذه الآفات.

الأغاني المحرمة، والأفلام الهابطة، والروايات الرومانسية:

من الأسـباب العظيمة للوقوع في العشـق: هذه الوسـائل الخطيرة من الأغاني والأفلام الهابطة، التي تدعو إلى الفحشاء والعلاقات المحرمة، فجُلُّ الأغاني، ونسبة كبيرة من الأفلام تدور حول هذا الموضوع.

فكلـمات الأغاني تدور حول المحبوبة والمعشـوقة، ولا تتحـدث إلا عن الحب والغرام، ولا تصف إلا أحوال العشاق.

والأفـلام تصور قصص العشـاق بأفضل الوسـائل التكنولوجيـة الحديثة، بقصص كتبهـا متخصصـون، ومَثّلها ممثلـون، مع ما يصاحبها من الموسـيقى الحالمـة، والكلمات المثيرة، مما جعل كثيراً من الناس يعجبون بالعشـق والغرام، ويَسـعون لتطبيق ما سمعوه وشاهدوه.

وليسـت الروايات الرومانسـية ببعيدة عن هذه المفاسـد، بل قد تزيد مفاسدها في بعض الأحيان.

إن هذه الأفلام والروايات قد أضرت بشبابنا وفتياتنا أعظم الضرر، وأوقعتهم في مرض العشق، فهاموا على وجوههم في صحراء المعاصي، لا يجدون مَعلَماً للحق يأوون إليه ؛ لِعِظَم تعلق قلوبهم بغير الله.

هذا الجوع العاطفي جعل الشـباب في هيجان شـديد، يبحثون عن الشـهوات المحرمة، والعلاقات المشبوهة، في كل وقت.

ضعف الشخصية والتقليد:

إن العاشق فيه ضعف في الشخصية، لا يستطيع أن يتحكم في عواطفه ومشاعره، بل يجرفه التيار، ولذا: يقع فيما يقع فيه الناس بدون تفكير، ولو كان حازما قويّ الشكيمة لامتلك زمام نفسه، ولردَّها عن هذا الغيّ.

غياب القدوة الصالحة:

من أسباب الوقوع في العشق: عدم وجود القدوة الصالحة التي توجِّه عواطف الشباب والفتيات إلى ما ينبغي حبه، وهو حب الله عَزَّوَجَلَّ، وحب رسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وحب الصالحين، فحمل النفس على حب الله ورسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وحب الصالحين يجعل في القلب غُنية عن حب الصور والعشق المحرم.

الفراغ:

الفراغ داء العصر، أشغل كثيرا من الشباب بالمعاصي، خاصة عندما يكون الشاب في مجتمع غني لا يحتاج فيه للعمل، فيتفرغ للعشق والهيمان، والذهاب للأسواق، والسير خلف فلانة وفلان، وتضييع الساعات الطويلة في هذا الأمر.

مظاهر الزينة:

ومن أسباب الوقوع في العشق: انتشار مظاهر الزينة التي كثرت في هذا العصر، فزُينت الأجساد بما بهر الألباب، وأوقع القلوب في سجن العشق.

عدم حفظ الجوارح:

إن عدم حفظ الجوارح يدفع بالإنسان إلى وقوع القلب في العشق والهوى، وقد يكون العشق بالنظر أو بالسمع.

فوقوع العشق بالنظر واضح جداً، عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**إِنَّ الله كَتَبَ عَلَى ابنِ آدَمَ حَظَّهُ مِنَ الزِّنا، أَدرَكَ ذَلِكَ لا مَحالَةَ، فَزِنا العَينِ النَّظَرُ، وَزِنا اللِّسانِ المَنطِقُ، والنَّفسُ تَتَمَنَّى وَتَشتَهِي، والفَرجُ يُصَدِّقُ ذَلِكَ كُلَّهُ أَو يُكَذِّبُهُ**»[1].

---

(١) رواه البخاري (٦٢٤٣)، ومسلم (٢٦٥٧).

فتأمل كيف بدأ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بذكر النظر.

وقد يكون السمع طريقاً إلى ذلك، فقد أوقع سماع الأغاني كثيراً من الشباب في العشق، فكان سماع الأغنية الذي وقر في القلب هو الذي أدى إلى هذه الهاوية، كما قال بشار بن برد:

يا قَومِ أُذنـي لِبَعـضِ الحَيِّ عاشِقَةٌ والأُذنُ تَعشَقُ قَبلَ العَينِ أَحيانا
قالُوا: بِمَن لا تَرى تَهذِي، فَقُلتُ لَهُم: الأُذنُ كالعَينِ تُوفي القَلبَ ما كانا[1]

وعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا تُباشِرُ المرأَةُ المرأَةَ، فَتَنعَتُها لِزَوجِها، كَأَنَّهُ يَنظُرُ إِلَيها**»[2].

لماذا؟

حتى لا يعشقها، فإن القلب قد يعشق بالسماع.

وهذا خطأ تقع فيه كثير من الزوجات، فتجلس الزوجة تصف لزوجها امرأة أخرى، شكلها كذا، وطولها كذا، ولونها كذا، وتحدثه عن مميزاتها، وضحكها، ومزاحها.

فيقع الرجل في غرام هذه المرأة، حتى وإن لم يَرَها.

وبعضُ الأزواج تَزَوّجَ بثانيةٍ، مِن وراء وصف زوجته لهذه الثانية، كانت زميلتها، فإذا بها تصبح ضرتها!.

❊ ❊ ❊

(١) خزانة الأدب (٣/ ٢١٩).

(٢) رواه البخاري (٥٢٤٠).

سبل الوقاية من العشق

للوقاية من الوقوع في مرض العشق وسائل عدة، من أبرزها، ما يلي:

اجتناب أسباب العشق:

الطباع تتساوى في الميل إلى الهوى، فينبغي للحازم اجتناب أسبابه، والبعد عنه منذ البداية، فيحمي سمعه وبصره من مسببات الهوى.

محبة الله وحده، وملء القلب بها:

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولهذا كان أعظم صلاح العبد: أن يصرف كل قوى حبه لله تعالى وحده، بحيث يحب الله بكل قلبه وروحه وجوارحه، فيوحِّد محبوبه، ويوحد حبه،... فتوحيد المحبوب: ألا يتعدد محبوبه، وتوحيد الحب: أن لا يبقى في قلبه بقية حب، حتى يبذلها له»[1].

فيجب على الإنسان ألا يبقى في قلبه حب إلا وبذله لله، فيحب الله، ويحب في الله، ويبغض في الله، ويكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وهذا الحب غاية صلاح العبد ونعيمه وقرة عينه، وليس لقلبه صلاح ولا نعيم إلا به.

محبة الله فوق محبة العشاق والمحبين لمحبوبيهم، إنها أكمل وأعظم وأكثر وأشد من محبة الولد والوالد والمال؛ لأن محبة الله فيها كمال ذل وخضوع وتعظيم وطاعة وانقياد، ظاهراً وباطناً.

---

(١) روضة المحبين (ص١٩٩).

تحليل العلاقات:

على الإنسان العاقل أن يحلل علاقاته مع الآخرين؛ فينظر: لم أحبَّ فلاناً ولم كَرِهَ الآخر، ولا يعمل على خداع نفسه، فلا يبرر لنفسه أنه يحب فلاناً في الله، مع أن الحقيقة أنه يحبه لجمال منظره، وبهاء طلعته.

غض البصر:

الواجب على من وقع نظره على مستحسن فوجد لذة تلك النظرة أن يصرف بصره؛ لأن الناظر متى عاود الكرة، وقع في اللوم شرعاً وعقلاً.

وتأمل قوله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ﴾ [النور: ٣٠]، فجعل سبحانه غض البصر وحفظ الفرج أزكى للنفس، وزكاة النفوس تتضمن زوال جميع الشرور، ومن ذلك العشق.

والعشق له علاقة قوية بالنظر، وعلاجه غض البصر، وعدم تكراره؛ فإن النظر كالبذرة التي تبذر في الأرض، فالنظرة الأولى هي البذرة، ولكن معاودة النظر هو الماء الذي تُسقى به تلك البذرة.

فإذا تعاهد الشخص تلك البذرة بالسقي، فستصبح البذرة شجرة قوية، لا يمكن انتزاعها.

ولذلك، فإن غض البصر من أعظم الوقايات.

❊ ❊ ❊

علاج العشق

أما علاج العشـق: فيختلف بحسـب المرحلة التي وصل إليها العاشـق، فدخول الهوى يسير، ولكن الخروج منه شديد.

ومن علاجات العشق:

١. الفرار:

البعد عن أرض المعشـوق من أعظم علاجات العشـق، كما يقال: البعيد عن العين بعيدٌ عن القلب.

فعلى العاشق أن يسافر إلى بلد آخر، ويترك المكان الذي يرى فيه معشوقه، فيغيّر مسكنه، أو مقر عمله.

وعلى المسلم أن يحذر من خديعة إبليس، والتي ينصح بها العشاق وأهل الغرام.

نَعِمَت بِها عَينِـــي فَطالَ عَذابُها ... وَلَكَم عَـذابٌ قَد جَناهُ نَعِيـمُ!
نَظَرَت فَأَقصَدَتِ الفُـؤادَ بِسَهمِها ... ثُمَّ انثَنَت نَحوِي فَكِدتُ أَهِيمُ
وَيلاهُ إِن نَظَرَت وَإِن هِيَ أَعرَضَت ... وَقـعُ السِّهامِ وَنَزعُهُنَّ أَلِيمُ[1]

ولابُـدَّ للمعشـوق أن يكـون لـه دور في العلاج، فعليـه أن يفر من العاشـق، ويخرج من أرضـه، ويُخَـلِّي الطريـق فارغاً، حتى لا يقع العاشـق على خبر له، ولا على حـسٍّ أو أثر، فلا يراه، ولا يسمع كلامه، حتى ينساه شيئاً فشيئاً.

وقد يحس المعشوق بالألم لهذا الفراق، ويزداد عذاباً به، فيقال له: اصبر؛ فإن النصر مع الصبر.

---

(١) ذم الهوى (ص٥٩١).

وقد يقول: أوشكت على الموت، فنقول له: لو مت فأنت مأجورٌ بإذن الله؛ لأنك منعت نفسك عن الحرام. وإن عشت فستحيا حياة كريمة تتخلص فيها من هذا البلاء.

وإياك من النظرة الأخيرة، فإن بعضهم قد يقول عندما يشتد به الأمر: هاتوه لحظة، أراه، وأجلس معه قليلاً فقط، فنقول: لو جلس معك ورأيته؛ فسترجع إلى ما كنت عليه.

كما أن على المعشوق أن يتقي الله وينصرف عن طريق العاشق، وإلا، فإنه سيعرِّض العاشق للتلف، وذلك ظلم منه، بل عليه أن يسعى بكل طريق في إنقاذه، وإخراجه من هذه الحالة، بالبعد عنه.

٢. تأمُّل مساوئ المعشوق:

إن عين المحب كليلة عن عيوب المحبوب، والعاشق لا يكاد يرى شيئاً من عيوب محبوبه، بل قد يراها من المحاسن.

ومن علاج الهوى: أن يتأمل الإنسان في مساوئ محبوبه: كيف يحمل النجاسات في أحشائه وأمعائه! وإذا كانت امرأة: ماذا يحصل لها من الحيض والنفاس والدماء!.

قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إذا أعجبت أحدكم امرأة: فليذكر مَناتنَها»[1].

يُذكر أَنَّ رَجُلا وامرَأَتَهُ اختَصَما إلى أَمِيرٍ مِن أُمَراءِ العِراقِ، وَكانَتِ المَرأَةُ حَسَنَةَ المُنتَقَبِ، قَبِيحَةَ المَسفَرِ، وَكانَ لَها لِسانٌ، فَكَأَنَّ العامِلَ مالَ مَعَها، فَقالَ: يَعمَدُ أَحَدُكُم إلى المَرأَةِ الكَرِيمَةِ فَيَتَزَوَّجَها، ثُمَّ يُسِيء إِلَيها. فَأَهوَى الرَّجُلُ، فَألقى النقاب عَن وَجهِها، فَقالَ العامِلُ: عَلَيكِ اللَّعنَةُ! كَلامُ مَظلُومٍ، وَوَجهُ ظالِمٍ[2].

قال ذلك لما رأى المنظر الحقيقي لبقية الوجه، واتضح له أن المرأة ليست جميلة.

٣. ردع النفس عن الحرام:

على الإنسان أن يردع نفسه عن الحرام، فإن كانت المعشوقة زوجة لرجل يقول لنفسه: هذه زوجة رجل، فكيف أعشقها؟

---

(١) ذم الهوى (ص١٥).

(٢) ذم الهوى (ص٥٨٥).

وإذا كان ذكراً قال: هذه العلاقة التي لعن الله عليها قوم لوط، وأهلكهم، وعاقبهم بعقوبات ما عاقب غيرهم بها: ﴿فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ﴾ [القمر: ٣٧]، ﴿جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ﴾ [هود: ٨٢]، ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ﴾ [الحجر: ٧٣].

ليس هناك قوم عاقبهم الله بمثل عقاب قوم لوط؛ فإذا جاء في نفسه عشق أحد الذكران أو المردان؛ فليردع نفسه عن هذا العشق؛ بتذكيرها بهذا العقاب الأليم.

٤. تذكير النفس بعظمة الرب سبحانه:

لو أن الإنسان رأى زوجة ملك من الملوك فهويها، وتعلق قلبه بها، فما الذي يقطعه عنها؟

إنه الخوف من ذلك الملك، وخوف انتقامه وبطشه.

فعلى المرء أن يذكِّر نفسه بعظمة الرب سبحانه، وأنه شديد العقاب، قوي البطش.

٥. النظر في عواقب العشق:

إن العشق يورث قلقاً دائماً، وعواقب مشينة، وأضراراً عظيمة.

فالعشق يُصَيِّر الإنسان سفيهاً تافهاً، وينقص عقله وحكمته.

والعشق مشوب بالغموم، والهموم، وخوف الفراق، وفضيحة الدنيا، وحسرات الآخرة.

والعاقل إذا رأى أن مرضاً سيُفضي به إلى الهلاك، فإنه سيعالج نفسه منه ولابُدّ، فكذلك العشق، هذا المرض القلبي لابُد للعاقل أن يسارع إلى علاج نفسه منه إذا وقع فيه.

٦. الدعاء:

الدعاء هو السلاح الذي لا يخون في النوائب والملمات، السلاح الناجع الذي ينبغي على المؤمن أن يستعمله في كل وقت وحين، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦].

وقد كان من هدي النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تعليم الصحابة أدعية لمواجهة العشق وغيره من الآفات، فعن شَكَل بن حُميد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قلت: يا رسول الله، علمني دعاء. قال: «**قُلِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِن شَرِّ سَمعِي، وَمِن شَرِّ بَصَرِي، وَمِن شَرِّ لِسانِي، وَمِن شَرِّ قَلبِي، وَمِن شَرِّ مَنِيِّي**»(١).

وكان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسأَلُكَ الهُدَى، والتُّقَى، والعَفافَ، والغِنَى**»(٢).

فإياك والاغترار بنفسك، فتبتعد عن الدعاء وتأمن المكر.

إِذا لَم يَكن عَونٌ مِنَ الله لِلفَتَى فَأَوَّلُ ما يَجنِي عَلَيهِ اجتِهادُهُ(٣)

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «فَإِن عَجَزَت عَنهُ هَذِهِ الأَدوِيَةُ كُلُّها: لَم يَبقَ لَهُ إِلا صِدقُ اللُّجأِ إِلى مَن يُجِيبُ المُضطَرَّ إِذا دَعاهُ، وَليَطرَح نَفسَهُ بَينَ يَدَيهِ عَلَى بابِهِ مُستَغِيثاً بِهِ، مُتَضَرِّعاً مُتَذَلِّلاً، مُستَكِيناً، فَمَتَى وُفِّقَ لِذَلِكَ، فَقَد قَرَعَ بابَ التَّوفِيقِ»(٤).

٧. الصبر:

فإن الصبر عاقبته حميدة، والنصر مع الصبر، وتَجَرُّع مرارة الصبر الآن، خير لك من تجرع مرارة غسلين في نار جهنم، والعياذ بالله.

٨. مجاهدة النفس:

قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

٩. استشارة من يثق فيه:

ما خاب من استشار ولا ندم، ولذلك على من وقع في هذه المصيبة أن يأخذ برأي إخوانه، فيما يستعين به في مواجهة هذا المرض.

---

(١) رواه أبو داود (١٥٥١)، وصححه الألباني.

(٢) رواه مسلم (٢٧٢١).

(٣) نفح الطيب (٦/ ١٧٧).

(٤) زاد المعاد (٤/ ٢٧٤).

ويستعين بالإخوان الصالحين، الذين ينصحونه حق النصيحة، ويرشدونه إلى الطريقة الشرعية المنجية من هذا الداء.

❊ ❊ ❊

الخاتمة

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن العشق: «وتلك لعمر الله الفتنة الكبرى، والبلية العظمى، التى استعبدت النفوس لغير خلّاقها. وملَّكت القلوب لمن يسومها الهوان من عشاقها، وألقت الحرب بين العشق والتوحيد، ودعت إلى موالاة كل شيطان مريد، فصيَّرت القلب للهوى أسيراً، وجعلته عليه حاكماً وأميراً، فأوسعت القلوب محنة، وملأتها فتنة، وحالت بينها وبين رشدها، وصرفتها عن طريق قصدها.

ونادت عليها فى سوق الرقيق، فباعتها بأبخس الأثمان، وأعاضتها بأخس الحظوظ وأدنى المطالب عن العالى من غرف الجنان، فضلاً عما هو فوق ذلك من القرب من الرحمن، فسكنت إلى ذلك المحبوب الخسيس، الذى ألمُها به أضعاف لذتها، ونَيله والوصول إليه أكبر أسباب مضرتها، فما أوشكه حبيباً يستحيل عدواً عن قريب، ويتبرأ منه محبه لو أمكنه حتى كأنه لم يكن له بحبيب. وإن تمتع به فى هذه الدار فسوف يجد به أعظم الألم بعد حين، لاسيما إذا صار الأخِلاء يومئذ بعضهم لبعض عدواً إلا المتقين.

فيا حسرة المحب الذى باع نفسه لغير الحبيب الأول بثمن بخس، وشهوة عاجلة، ذهبت لذتها، وبقيت تبعتها، وانقضت منفعتها، وبقيت مضرتها، فذهبت الشهوة، وبقيت الشّقوة، وزالت النشوة، وبقيت الحسرة، فوا رحمتاه لصبٍّ جُمع له بين الحسرتين، حسرة فوت المحبوب الأعلى والنعيم المقيم، وحسرة ما يقاسيه من النصب فى العذاب الأليم. فهناك يعلم المخدوع أيَّ بضاعة أضاع، وأن من كان مالك رقه وقلبه لم يكن يصلح أن يكون له من جملة الخدم والأتباع، فأى مصيبة أعظم من مصيبة ملك أُنزل عن سرير ملكه، وجُعل لمن لا يصلح أن يكون مملوكه أسيراً، وجُعل تحت أوامره ونواهيه مقهوراً. فلو رأيت قلبه وهو فى يد محبوبه لرأيته:

كعُصفُورَةٍ فِى يد طِفلٍ يَسُومُها حِياضَ الرَّدَى، والطِّفلُ يلهُو وَيَلعَبُ

ولو شاهدت حاله وعيشه لقلت:

وَما فِى الأرضِ أشقَى مِن مُحِبٍ وَإن وَجَدَ الهَوَى حُلوَ المَذاقِ
تَراهُ باكِياً فى كُلِّ حِينٍ مَخافَةَ فُرقَةٍ، أَو لاشتِياقِ
فَيَبكِي إن نَأَوا، شَوقاً إِلَيهِم وَيَبكِي إن دنَوا، حَذَرَ الفِراقِ

ولو شاهدت نومه وراحته، لعلمت أن المحبة والمنام تعاهدا وتحالفا أن ليسا يلتقيان، ولو شاهدت فيض مدامعه، ولهيب النار فى أحشائه لقلت:

سُبحانَ رَبِّ العَرشِ، مُتقِنِ صُنعِهِ وَمُؤَلِّفِ الأَضدادِ دُونَ تعانُد
قَطرٌ تَوَلَّدَ عَن لَهِيبٍ فى الحَشا ماءٌ وَنارٌ فى مَحَلٍّ واحِدِ

ولو شاهدت مسلك الحب فى القلب وتغلغله فيه، لعلمت: أن الحب ألطف مسلكاً فيه من الأرواح فى أبدانها.

فهل يليق بالعاقل أن يبيع هذا الملك المطاع لمن يسومه سوء العذاب، ويوقع بينه وبين وليه ومولاه الحق الذى لا غناء له عنه ولا بد له منه أعظم الحجاب؟

فالمحب بمن أحبه قتيل، وهو له عبد خاضع ذليل، إن دعاه لبّاه، وإن قيل له: ما تتمنى؟ فهو غاية ما يتمناه، لا يأنس بغيره، ولا يسكن إلى سواه، فحقيق به أن لا يملك رقه إلا لأجلِّ حبيب، وأن لا يبيع نصيبه منه بأخس نصيب»[1].

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يملأ قلوبنا بنوره، وأن يُفيض علينا من رحمته، وأن ينزل علينا السكينة، وأن يثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، وأن يصلح قلوبنا ونياتنا وذرياتنا، إنه سميع مجيب قريب.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله، وصحبه أجمعين.

❊ ❊ ❊

(١) إغاثة اللهفان (٢/ ١٢٢).

اختبر فهمك

فيما يلي مستويان من الأسئلة حول الموضوع: أسئلة حلولها مباشرة، وهي أسئلة المستوى الأول.

وأسئلة تحتاج إلى بحث وتأمل، وهي أسئلة المستوى الثاني.

أسئلة المستوى الأول (المباشرة):

١. عرّف العشق في اللغة والاصطلاح.

٢. ما هي أنواع العشق؟

٣. للعشق مظاهر عدة، فما هي أبرزها؟

٤. ما هي مفاسد وأضرار العشق؟

أسئلة المستوى الثاني (الاستنباطية):

١. بماذا يرتبط العشق غالباً؟

٢. ما السبب الرئيسي المؤدي لعشق النساء للنساء؟

٣. لابن القيم رأي سديد في مسألة العشق، فما هو؟

٤. ذكر ابن تيمية في كتابه (الاستقامة) أموراً يورثها العشق للعاشق، فما هي؟

٥. ماذا يفعل النصارى إذا أرادوا تنصير الأسرى؟